

مضى عام للآنسة سهير القلماوى

تسارعت الايام في سيرها الآلى المنظم السريع . الايام الطويلة المملة ، والايام القصيرة الطائرة ، كلها غرقت في بحر الفناء على ألا تعود . وانقضى العام فاذا الدكرى تهادى حتى وقف أمامى ، ثم تمد يدها لتأتى بأجزائها الممزوجة في مخلقى تستكمل بها صورتها المئوية . فاذا الصورة هى هى كما كانت منذ عام ، واذا الألم لها وإن خففه سلطان الزمان الذى لا يقهر ، إلا أنه مازال لاذعاً منزعجاً عن كل شئ . - واه .

كان صباح العيد منذ عام ، فاجتمع أفراد الأسرة كلهم في بيت الوالدين ، اجتمع الأخوات والأخوة ، والأزواج والأولاد والأخوال والأعمام ، واصطفوا جميعاً على مائدة الافطار ، وكلهم وجوههم مشرقة مستبشرة . وكانت هى بينهم - ومتى لم تكن بينهم ولو بمجدها - ولكنها كانت تفكر وتقدم . تضعك معهم وتبسم لابتناسمهم ، ويشرق وجهها لاشراق وجوههم ؛ ولكن نفسها كانت تألم يائسة ، وعقلها مرتبك ، يقدر وفكر ، ويقرر وينتقى عما قرر ، ثم يعود فيقرر ثانية ، فاذا القرار هو هو . وتقلب الاحتمالات والمتغيرات ، تستعرض في خيالها الساعات المقبلة ، وقد نظمتها حسبما ظنت أن ستكون . ماذا لو أنهضت قرارها ؟ ثم تعود فتنتقى عنه من جديد ؛ لم يرقها ما قدرت ، ولكن أى غلص غيره ؟ وأخيراً ، لا بد من القرار الأول ، لا بد منه .

لم يلاحظ عليها الحضور شيئاً ، فقد كانت الحركة التى تأتيناها فى فى رواحها ومجئها لخدمتهم - لأن أمور المنزل أصبحت كلها لها بعد زواج أختها - التى كانت تساعد كثيراً على اخفاء ما بها . واتهى الافطار فانتشروا فى الدار ، وأصوات الاطفال المرححة الصاخبة تملأ أسماعهم . وانهزت هى الفرصة وصعدت الى حجرتها . خافت أن تعود الى التفكير فتربك من جديد ، ولقد شئت الحيرة ولا بد أن تنجو منها ، لقد كانت تلهب رأسها .

وصعدت وراها أختها تناديا ، ونادتها فاذا بها قادمة نحوها

للعمل على تأييد السلام ، وإقامة العدل ، وبث الاخاء ، ولكنها نظمت وعقدت فى الواقع للتعاون على إخماد الحركات الحرة التى أخذت تضطرم من غرب اوربا الى شرقها ، وتبدو فى مطالبات عنيفة بالحريات الدستورية . وكانت الحروب البونابارتية قد شغلت اوربا حيناً عن التفكير السياسى ، خست الريح الحرة التى أثارتها مبادئ الثورة الفرنسية ، ولكن الجيوش الفرنسية الغازية كانت تحمل أينما حلت طرفاً من هذه المبادئ ، فلما هدأت العاصفة التى أثارها نابليون ، عادت الافكار الحرة والامانى الدستورية لتشق سيلها فى معظم الامم الاوربية ، ومن ثم كان اجتماع العروش القديمة على مقاومتها وسحقها . وقد انضمت معظم الدول الاوربية الى المعاهدة المقدسة ، وطبقت غير بعيد فى المانيا والنمسا حيث قيدت حرية الصحافة ، وفرضت الرقابة الرسمية على الجامعات ، ولكن هذه الجبهة القوية التى نظمتها الطغمان لمقاومة الحريات الشعبية لم تكن شيئاً ، ولم يمض ربع قرن آخر حتى كانت معظم الدول الاوربية تضطرم بالنورات والفورات التحريرية ، وكانت القوى الرجعية ترغم على بذل المنح الدستورية المختلفة . وقد استمر هذا الصراع بين الطغمان والديموقراطية طوال القرن التاسع عشر ، وانتهى بظفر الحريات فى معظم الامم الاوربية .

ونحن اليوم نشهد هذا الصراع كرة أخرى . ولكنه يتخذ اليوم صورة جديدة . فالقوى الرجعية لا تستند اليوم الى العروش والحق الإلهى ، ولكنها تتشح بانواب شعبية ، فالفاشية تزعم فى ايطاليا ومانيا أنها تقوم بإرادة الشعب وتسير طبقاً لها ؛ وتحشى ان تبدو مجردة فى ثوبها الحقيقى ؛ وهذا دليل على أنها رغم ظفرها المؤقت مازالت تحشى قوة الديموقراطية الخفية . ونحن مازلنا تؤمن بمستقبل الديموقراطية رقتها . واذا كانت الديموقراطية قد استطاعت ان تصمد طوال القرن الماضى لجميع القوى الرجعية التى هاجمتها وقاومتها ، مع أنها لم تكن قد استكملت يومئذ كل مموها وقوتها ، فانها اليوم وقد رسخت مبادئها ومثلها فى جميع الامم الاوربية واقامت لها صروحاً قوية شائعة ، وأضحت قوام الحياة العامة فى كل بلد ، لا يمكن ان تستكين طويلاً الى عدوان الفاشية ، ولا بد أن تنهض غير بعيد من عثرتها ، وتستعيد كل قوتها وسلطانها ، يوم تنفض عنها غبار هذه المفاسد الشكلية التى اسبغت ريباً على هيبتها ؛ ويوم تنبذ ذلك الخلاف الذى فت فى قواها ومكن لخصومها .

محمد عبد الله عنان

التطور وروح الدين

للاستاذ محمود الشرقاوى

« انا وحدنا الفارح قاصدا لصالح اليباد . والاحكام
للعادة تدور معه حيثما دار . قري الله الواحد يمنع في
حال لا تكون فيه مصلحة . فاذا كان فيه مصلحة جاز »
والشاطبي »

لكل دين من الأديان روح تسيطر على مجموعته ، وتتمشى في
أصوله وفروعه . وتميز دعوته وتربط أحكامه جميعا ، وتساق بين
أجزائه وتوجه تيارها الى غاية خاصة ،

والاسلام يمتاز من جميع الأديان بأنه دين عام خالد لا دين بعده
ولا رسالة . فهو لذلك قد جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية
من الاصول لجميع ظروفها وأحوالها وأزمانها وأما كونها ، والحياة
البشرية متغيرة سريعة التحويل والانقلاب والسير في طريق التطور
من حال إلى حال ومن قديم إلى جديد ، وبالأخص في عصرنا هذا
الذى تضاعف فيه سير الحضارة ، واختلطت الشعوب والانفكار
واستولى على الإنسانية كلها ما يشبه الحى في سرعة التحويل والانتقال
فهل روح الاسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم
العالم ؟ وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تعداها إلا اذا
تركت الدين واستعاضت عنه بأشياء مدنية لا بد منها لاستكمال الحياة
البشرية واطراد السير فيها والتطور من حال إلى حال ؟ أما أنا فأجيب
بأن الاسلام لا يتعارض بتاتا مع سير البشرية وتحوّلها . وأنه دين
لين واسع الأفق ، نستطيع أن نوفق بين روحه وبين كل مظهر من
مظاهر الحضارة ، وأن نجد في نصوصه ما يسير الاطوار المختلفة
التي تخطاها البشرية في عصورها المتباعدة ، وهذا ما أريد أن
أكتب عنه في هذا الفصل ،

ويجب أن نلتفت إلى الفرق بين : روح الدين وغايته . وبين
أحكامه الفرعية وتطبيقاتها ، والفرق بين الدين كشعور وعقيدة وإيمان ،
والدين كتقاليد وأشخاص دينيين ومظاهر كنسية للحكم والسيطرة .
فروح الدين وجوهره هو الشيء الخالد الباقي الذى لا يتعارض مع
أى عصر . والذى تجد فيه كل حضارة وكل أمة في كل زمن ما يتفق
مع احتياجاتها ويعينها ويسددها في سبيل الغاية العليا والكمال البشرى

نصرخ وتناوه ، ووجهها أغبر قائم ، وجسمها يتلوى من الألم ،
ويدها على معدتها تضغطان بعصية وتقاص ، فصاحت أختها ما بك !
ما بك ؟ وضمتها الى صدرها تسندها من الوقوع فوقعتا على
الدرج معا . وهزتها ثانية ما بك ؟ فتمت بصعوبة مريرة متألة
و شربت سماء

كلتان هما آخر ما نطقت . كلتان قلبتا العيد مأتما ، كلتان حولتا
شابة مليئة بالحياة والنشاط الى جثة هامدة لا تحس ولا تشعر . واجتمع
الاهل والصحب والحلان حول ضحية العيد ، منهم من أسعفه البكاء .
فبكى ، ومنهم من حيرته الفاجعة فذرب لسانه بأسبابها وصاح يستلهم
الجثة جوابا عما حير فكره وصدع قلبه . ومنهم من وجم يستعرض
في وحدته صورا تتألى فلا تشعر ارتباطا فى تأليها ولا أثرا لمرورها
فى مخيلته . وأخير منهم من اختل توازن أعصابه وفقد القدرة على
حكمها ، فراح لسانه ينطق بكل ما يمر فى خاطره المضطرب المحموم
وفى الصباح جاءت صدايقاتها بورودهم البيضاء وكانهم آتون
لعرسها ، ثم أودعوها حفرة ضيقة وعادوا جميعا وكل منهم يظن أنه
فى حلم مروع يتلس اليقظة منه فلا يصحو . ومتى كانت الحياة
الا روى تتابع ! روى نراها افرادا فنختلف فى حقيقتها ، وروى
نراها جماعة فنجمع على حقيقتها ؟

أودعوها حضرتها ، وأودعوها معها ، ولكن متى دخل لسان
الناس افواههم ؟ متى استراح لسان الناس فى أشد المواقف استدعاء
للاستراحة ؟ هل احترموا جلال الموت ؟ هل خشعوا امام الجحمة
مريرة للأسرة بأجمعها ؟ كلا ! لم يخلق اللسان الا للكلام ، فاذا سك
لم يحقق الغرض من خلقه ، واذا لم يحقق جزء من المخلوقات الغرض
من خلقه فقد اختل نظام الكون كله !

وفى العيد تجتمع الاسرة لاعلى مائدة الافطار وانما حول قبرها
فى مدينة الاموات الهادئة ، وهناك تنادى فلا تجيب كما كانت تفعل
منذ عام ، وهناك تبكيها فلا تشاركها شعورها كما شاركتهم
الابتسامة والفرح منذ عام ، وانما ترفرف روحها من عليائها رائحة
غادية لا ترتبك ولا تضطرب ، فليس لديها ما تخفيه وقد حجبت الفناء
بأساره الكثيفة المظلمة .

سهر القلبواوى